المحاضرة السادسة: نظرية الغرس الثقافي

تهتم هذه النظرية بدراسة العلاقة بين كثافة مشاهدة التلفزيون وما يحدث من تـــأثر تراكمي يظهر لدى المشاهدين الذين يتسمون بكثافة مشاهدتهم للتلفزيون. ويحدث ذلك عبر تصوير ما يقدم بالتلفزيون من قيم ومعتقدات وسلوكيات كما لو كانت واقعا.

فهذه النظرية إذن تهتم بالتأثير غير المباشر لوسائل الإعلام على المشاهد باعتبـــار ذلك التأثير يتم من خلال عملية التفاعل بين الرسائل التي تبثها الوسيلة الإعلامية والمتلقين حيث يقوم أولا على التعلم ثم ينتج عن ذلك تشكيل وجهات نظـــر معينـــة عـــن الواقـــع الاجتماعي. والحديث عن نظرية الغرس الثقافي ودورها يتطلب التطرق للعناصر التالية:

أولا مفهوم نظرية الغرس الثقافي:

تصف نظرية الغرس الثقافي نوعا من التعلم العرضي الناتج عن تراكم التعـــرض المكثف لوسائل الإعلام. وتعتبر تصويرا تطبيقيا للأفكار الخاصة بعمليات بناء المعنـــى، وتشكيل الحقائق الاجتماعية والتعلم من خلال الملاحظة، والأدوار التي تقوم بها وســـائل الإعلام في هذه المجالات.

حيث يرى" هاوكينز" و"بنجرى" أن عملية الغرس تتضمن عنصرين أساسيين هما: التعلم غير المقصود والاستدلال المعرفي، حيث يؤدي اهتمام المشاهد بمـــا يـــراه علـــى الشاشة الى تعلم حقائق وقيم التلفزيون بحيث تصبح برامج التلفزيون مصدرا لمعلومـــات المشاهد عن الواقع الاجتماعي.

ومصطلح الغرس يعني قيام الأجواء المحيطة بالنتاج الثقافي سواء علـــى المســـتوى الاجتماعي، السياسي، الاقتصادي...الخ بتوليد وبث رسائل وتصورات رمزية تعمل على دعم وإبقاء الأيديولوجيات السائدة في المجتمع، والممارسات المؤسسية والسياقات الثقافيـــة التي ينبع منها هذا المناخ.

وتتمثل وظيفة تحليل الغرس في تحدي مدى وطريقة إسهام رسائل معينة في تشكيل الواقع الاجتماعية الذي يتماشى مع معظم القيم والصور الرمزية المقدمة بشـــكل متكـــرر عبر تلك الرسائل.

ثانيا: متغيرات نظرية الغرس:

تعتمد هذه النظرية على متغير رئيسي هو طول فترة مشاهدة التلفزيون وقد قسم البـــاحثين هذا المتغير الى ثلاثة مستويات، وهي كالتالي:

1- **المشاهدة الكثيفة:** وهي زيادة فترة مشاهدة التلفزيون عن 4 ساعات يوميا.
2- **المشـــاهدة المتوســـطة:** وهي فترة المشاهدة التي تتراوح ما بين 2 الى 4 ساعات يوميا.
3- **المشاهدة المنخفضة:** وهي التي تقل مدتها عن ساعتين يوميا.

أما المتغير التابع الذي تقيسه تلك النظرية فيتمثل في إدراك المتلقين للواقع المعاش بصورة مشابهة للصور الرمزية المقدمة بالتلفزيون.

وهناك عددا من المتغيرات الوسيطة التي تتداخل مع المتغير المستقل لتخلق نوعـــا من الأثر لدى المشاهدين منها على سبيل المثال: النوع، العرق، مستوى التعليم، مســـتوى الدافعية، وغيرها من العوامل الدخيلة التي قد تؤثر على إدراك المتلقين للواقع الاجتماعي المحيط بهم.

ثالثا: مفاهيم عملية الغرس

للمزيد من توضيح عملية الغرس قدم "جربنر" وزملاؤه امتدادا لمفهوم الغرس يتمثل في مفهومين أساسيين يكملان شرح وجهة نظرهم في كيفية حدوث الغـــرس الإعلامـــي وهذان المفهومان هما:

- **الاتجاه السائد:** يعرف الاتجاه السائد بأنه ميل كثيفو المشاهدة بشكل عام الى تكوين نوع من التفكير المشترك والسلوكيات المتماثلة.
- **الصدى الرنين:** قد تسبب مشاهد الصور النمطية المتكررة عن العنف وغيره من السلوكيات السلبية من خلال شاشات التلفزيون أثرا بالغا على العقل البشري بمرور الوقت. وقد قدم "جربنر" مصطلح معامل الغرس يتصف به مقدرا مشاهدة التلفزيون لدى الفرد منذ فترة الطفولة وحتى وقت تطبيق الدراسة عليه. فقد لاحظ أن التراكم المستمر لصور العنف التي يقدمها التلفزيون داخل عقل المشاهد قد يؤدي لحدوث ما يعرف باسم الصدى أو الرنين.

رابعا: خطوات تحليل الغرس

لقد اعتمد باحثو الغرس على عملية رباعية المراحل لتوضيح وجهة نظرهم في التلفزيون باعتباره وسيلة تأثير ثقافي ، وهي كالتالي:

- **المرحلة الأولى: تحليل أنظمة رسائل التلفزيون:** وهي عبارة عن تحليل محتوى مفصل لبرامج التلفزيون لتقييم وتحليل الصور الرمزية مرارا وتكرارا بتلك البرامج، وكذلك تحليل القيم والأفكار التي يتكرر عرضها بتلك البرامج.
- **المرحلة الثانية: وضع الأسئلة التي تدور حول واقع المشاهدين الاجتماعي:** حيث يتم استخدام نتائج تحليل محتوى برامج التلفزيون لوضع تساؤلات عن إدراك المبحوثين للواقع الحقيقي بصورة مشابهة لما يقدم بالتلفزيون.
- **المرحلة الثالثة: مسح أراء الجمهور:** ويتم ذلك من خلال طرح الأسئلة التي تم وضعها في المرحلة الثانية على الجمهور وسؤالهم عن مقدار مشاهدتهم لبرامج التلفزيون، ويستخدم في ذلك أسلوب الاستبانة أو التقارير الذاتية للمشاهدين حتى يمكن التعرف على مدى مساهمة التلفزيون في إدراك المشاهدين للواقع الاجتماعي.

- **المرحلة الرابعة:المقارنة بين إدراك الواقع الاجتماعي لكثيفي وقليلي المشاهدة:** حيث تحاول نظرية الغرس الثقافي أن تستنبط ما إذا كان كثيفو المشاهدة يدركون الواقع بنفس الطرق التي تعكسها البرامج، ومقارنتهم بقليل المشاهدة مع مراعاة مقارنة الخصائص الديموغرافية للجمهور.

خامسا: الانتقادات الموجهة لنظرية الغرس الثقافي:

لقد وجهت عدة انتقادات لهذه النظرية ويمكن إجمالها فيما يلي:

- **المشاهدة الانتقائية:** أتهم "جوانتليت" مؤسس النظرية "جورج جربنر" تبنى وجهة نظر احتكارية عن الجمهور والذي اعتبره سلبيا وغير قادر على مقاومة الرسائل التي يبثها الإعلام لديه.
- **الاكتشاف الموجه:** تحاول نظرية الغرس الثقافي اكتشاف العديد من القضايا منها على سبيل المثال انتشار الجريمة، الخوف من الوقوع لأعمال العنف، الاتجاه نحو العنصري، إلا أن التحليلات التي يقدمها الغرس الثقافي كانت محل نقد لافتقاده لبعض المعايير العلمية الضرورية مثل النفعية وقياس العامل الزمني.
- **تجاهل الأسباب الكامنة وراء كثافة مشاهدة بعض الفئات دون غيرها:** تتعرض النظرية للانتقاد أيضا بسبب عدم تقديمها للدليل الذي يوضح سبب كثافة المشاهدة عند بعض الفئات أو غيرها. وعدم وجود إجابة قاطعة حول أسباب عدم اكتساب الأفكار رغم تشابه كثافة المشاهدة داخل الفئة الواحدة كالأطفال مثلا.
- **مقدار الخطأ:** من بين الأخطاء الكبرى التي وقع فيها "جربنر "أيضا دفاعه عن النظرية وتجاهله لمقدار الخطأ الوارد فيها. فقد حاول إيجاد رد على جميع الانتقادات التي وجهت للنظرية دون عرض للبيانات التي تشير الى احتمال وجود نسبة خطأ في ذلك الجزء من النظرية وهو بذلك يفقدها معناها كنظرية اجتماعية علمية بالشكل الصحيح.